

تفسير البحر المحيط

@ 409 @ نقل من أن موسى أمره \square بصوم يوم الجمعة ، وعرفّ به فضله ، كما أمر به سائر الأنبياء ، فذكر ذلك لبني إسرائيل ، وأمرهم بالتشرّع فيه ، فأبوه وتعدّوه إلى يوم السبت ، فأوحى \square إلى موسى : أن دعهم وما اختاروه . وامتنعهم فيه ، بأن أمرهم بترك العمل ، وحرّم عليهم فيه صيد الحيتان . فكانت تأتي يوم السبت حتى تخرج إلى الأفنية ، قاله الحسن بن أبي الحسن ، وقيل : حتى تخرج خراطيمها من الماء ، وكان أمر بني إسرائيل بأيلة على البحر ، فإذا ذهب السبت ذهب الحيتان ، فلم يظهروا للسبت الآخر . فبقوا على ذلك زماناً حتى اشتهوا الحوت ، فعمد رجل يوم السبت ، فربط حوتاً بخزمة ، وضرب له وتداً بالساحل . فلما ذهب السبت ، جاء فأخذه فسمع قوم بفعله ، فصنعوا مثل ما صنع ، وقيل : بل حفر رجل في غير السبت حفيراً يخرج إليه البحر ، فإذا كان يوم السبت ، خرج الحوت وحصل في الحفيرة ، فإذا جزر البحر ، ذهب الماء من طريق الحفيرة وبقي الحوت ، فجاء بعد السبت فأخذه . ففعل قوم مثل فعله . وكثر ذلك ، حتى صادوه يوم السبت علانية وباعوه في الأسواق . فكان هذا من أعظم الاعتداء . وقد رويت زيادات في كيفية الاعتداء ، \square أعلم بصحة ذلك . والذي يصح في ذلك هو ما ذكره \square في كتابه ، وما صح عن نبيه . . .

منكم : في موضع الحال ، فيتعلق بمحذوف تقديره : كائنين منكم ، ومن : للتبويض . في السبت : متعلق باعتدوا ، إما على إضمار يوم ، أو حكم . والحامل على الاعتداء قيل : الشيطان وسوس لهم وقال : إنما نهيتهم عن أخذها يوم السبت ، ولم تنهوا عن حبسها ، فأطاعوه ، ففعلوا ذلك . وقيل : لما فعل ذلك بعضهم ، ولم يعجل له عقوبة ، وتشبه به أناس منهم ، وفعلوا لفعله ، ظنوا أن السبت قد أبيع لهم ، فتمالاً على ذلك جمع كبير ، فأصابهم ما أصابهم . وقيل : أقدموا على ذلك متأولين ، لأنه أمرهم بترك العمل يوم السبت ، وقالوا : إنما نهانا \square عن أسباب الاكتساب التي تشغلنا عن العبادة ، ولم ينهنا عن العمل اليسير . وقيل : فعل ذلك أوباشهم تحريماً وعصياناً ، فعم \square الجميع بالعذاب . . .

{ فَاقُولُوا لَهُمْ كُوزُوا } : أمر من الكون وليس بأمر حقيقة ، لأن صيرورتهم إلى ما ذكر ليس فيه تكسب لهم ، لأنهم ليسوا قادرين على قلب أعيانهم قرده ، بل المراد منه سرعة الكون على هذا الوصف ، كقوله تعالى : { إِذْ نَسَمَاءُ فَوَلَّيْنَا لَشَدِيدٍ إِذْ أَرَادَ زَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } ، ومجازه : أنه لما أراد منهم ذلك صاروا كذلك .

وظاهر القرآن مسخهم قرده . وقيل : لم يمسخوا قرده ، وإنما هو مثل ضربه \square لهم ، كما قال تعالى : { كَمَا نَزَّلْنَا الْحَمَامَاتِ يَحْمِلُنَّ أَسْفَارًا } ، قاله مجاهد . وقيل : مسخت

قلوبهم حتى صارت كقلوب القردة ، لا تقبل وعظماً ولا تعي زجراً ، وهو محكي عن مجاهد أيضاً .
والقول الأول هو قول الجمهور ، ويجوز أن يبقى □ لهم فهم الإنسانية بعد صيرورتهم قردة
: وروي في بعض قصصهم : أن الواحد منهم كان يأتيه الشخص من أقاربه الذين نهوهم فيقول له
: ألم أنك ؟ فيقول له برأسه : بلى ، وتسيل دموعه على خده ، ولم يعرض في هذا المسخ شيء
منهم خنازير . وروي عن قتادة : أن الشباب صاروا قردة ، واليوخ صاروا خنازير ، وما نجا
إلا الذين نهوا ، وهلك سائرهم . وروي في قصصهم : أن □ تعالى مسخ العصا قردة بالليل ،
فأصبح الناجون إلى مساجدهم ومجتمعاتهم ، فلم يروا أحداً من الهالكين ، فقالوا : إن
للناس لشأناً ، ففتحوا عليهم الأبواب ، كما كانت مغلقة بالليل ، فوجدوهم قردة يعرفون
الرجل والمرأة . وقيل : إن الناجين قد قسموا بينهم وبين العصا القرية بجدار تبرياً
منهم ، فأصبحوا ولم تفتح مدينة الهالكين ، فتسوروا عليهم الجدار ، فإذا هم قردة يثب
بعضهم على بعض . قال قتادة : وصاروا قردة تعاوي ، لها أذنان ، بعدما كانوا رجالاً ونساء

..

{ قِرْدَةٌ خَاسِئِينَ } : كلاهما خبر كان ، والمعنى : أنهم يكونون قد جمعوا بين
القردة والخسوء . ويجوز أن يكون خاسئين صفة للقردة ، ويجوز أن يكون حالاً من اسم كونوا .
ومعنى خاسئين : مبعدين . وقال أبو روق : خاسرين ، كأنه فسر باللازم ، لأن من أبعد □
فقد خسر . وجمهور المفسرين : على أن الذين مسخهم □ لم يأكلوا ، ولم يشربوا ، ولم
ينسلوا ، بل ماتوا جميعاً ، وأنهم لم يعيشوا أكثر من ثلاثة أيام . وزعم مقاتل أنهم
عاشوا سبعة أيام ، وماتوا في اليوم الثامن ،